9me Année No. 420

Lundi - 21 - 7 - 1941

الرسالة

مجلة أسبوعية للأدب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٤٢٠ « القاهرة فى يوم الإثنين ٢٦ جمادى الآخرة سنة ١٣٦٠ — الموافق ٢١ يولية سنة ١٩٤١ » السنة الثامنة

الفهـــرس

صفحة		
٩١٣	الشيخ محمد عبده بمناسبة ذكراه السادسة والثلاثين	الامام الأكبر محمد مصطفى المراغى
٩١٦	استقلال مصر من الجهة التاريخية	الأستاذ محمد توحيد السلحدار بك
٩١٨	الحديث ذو شجون	الدكتور زكى مبارك ... ...
٩٢٢	اللهجات العامية الحديثة ...	الدكتور على عبد الواحد وافى
٩٢٥	القيم الأخلاقية فى الآداب الانجليزية المعاصرة	الدكتور توماس جريتوود بقلم الأديب نظمى خليل
٩٢٦	جيل وجيل	الأستاذ محمود البشبيشى ...
٩٣٠	مدن الحضارات فى القديم والحديث	الأستاذ محمد عبد الغنى حسن
٩٣٣	ذكرى ناس مراقى ...	السيدة الفاضلة وداد سكاكينى
٩٣٥	الزاد الأخير ... [قصيدة]	الأستاذ سيد قطب ... ...
٩٣٥	مدينة بلا نساء «	الأستاذ عبد اللطيف النشار
٩٣٦	لابن المقفع لا للخليل ...	الأستاذ على الجندى ...
٩٣٦	النحو فى الكلام كالملح فى الطعام	
٩٣٧	نظرات بين المجلات ...	الأستاذ محمد عبد الغنى حسن
٩٣٧	عبد القادر حمزة وقومية بعثه وراء الحقيقة	الأستاذ محمد السوادى ...
٩٣٨	ثمن السعادة ... [قصيدة]	الأستاذ نجيب محفوظ ...

الشيخ محمد عبـــده

بمناسبة ذكراه السادسة والثلاثين

للامام الأكبر الأستاذ محمد مصطفى المراغى

عبد من عباد الله الذين اختصهم بمزيد فضله، ومنحهم من صفات الإنسانية الفاضلة ما امتازوا به عن أقرانهم فى عصرهم وأمثالهم فى عصور أخرى، وأشرفوا على الناس يألمون لما عليه الناس من انحطاط علمى وخلقى وأدبى، ويحاولون استبدال أمم أخرى بهم؛ ورجل ممن رزقوا ملكة المعرفة، وأفيض عليهم نور العلم الإلهى ففهموا أسرار الدين، وعرفوا السعادة الحق على وجهها، منحه الله قوة فى الجسم والحواس، وبسطة فى العلم، وعقلاً قويًا نفاذاً، وفطرة سليمة، وإلهاماً صادقاً، وشجاعة فى الحق، وزراية على الباطل، وقلباً رحيماً بالضعفاء والفقراء، وحباً للبذل والإحسان

نشأ الشيخ فى عصر من العصور الفاترة، كل شىء فيه ممض مؤلم للنفس الحرة والفطرة الصادقة. فالأمم الإسلامية تنحدر علمياً وسياسياً واجتماعياً إلى أحط الدركات، وليس لطالب الحرية العقلية بينها متنفس، والدين يفهمه الناس على غير وجهه، واللغة العربية اختلطت بغيرها من لغات العجم، والزلفى إلى الله لها طرق لم يشرعها الله، والزلفى إلى الحكام لها طرق لا يرضاها ذو مروءة.

ذهب ريح المسلمين، وتفلّت من أيديهم زمام الحياة العامة، وتداعت عليهم الأمم كما تتداعى الأكلة على القصاع، وليسوا قلة بين الأمم، ولكنهم كغثاء السيل

ذهب يتعلم فتعلم كما يتعلم غيره: قواعد جافة ليس لها حياة تصلها بمنابعها من الكتاب الكريم والسنة المطهرة، ولا بأصولها من لغة العرب وأساليبهم وأدبهم. وتعلم القواعد في مختصرات رضيها ذلك العصر المظلم لا تفهم إلا بشروح وحواش وصناعة خاصة، فلا اللغة العربية بمعتمدة على إجادة النظم والنثر والكتابة والخطابة، ولا على فهم القرآن الكريم وفق الأساليب العربية؛ ولا الفقه بساد حاجة المجتمع وحاجة الحكومات والدول في التشريع والتنظيم؛ ولا دراسة الكلام والمنطق بموصلة إلى الاستدلال الصحيح الذي يطمئن إليه العقل وتقنع الخصم. المتحدث في الاجتهاد وتخير الأحكام لتطابق الأحكام حاجة العصر، ولتلائم أحوال الأمم وأحوال الأزمنة، مبتدع مخالف لما أجمع عليه المحققون. والداعي إلى سيرة السلف الصالح داع إلى مخالفة سيرة العلماء المبرزين. والداعي إلى كتب الأولين مقصر عن فهم كتب المحققين من المتأخرين. والمنادي بأن كتب الفقه وكتب التفسير وكتب الحديث ملئت بمعلومات خاطئة وبأوهام وقصص لفّقها من قبل علماء الإسرائيليات مخالف لما درج عليه صالحو هذه الأمة وجهابذتها

عاش الشيخ في هذه البيئة العلمية ضيق الصدر مرير العيش. فمن من أصحاب الفطر الصادقة والنظر السليم يؤمن بالقرآن ويعتقد أن فيه هدياً وفيه شفاء، وأن شريعة محمد صلى الله عليه وسلم عامة للأمم كلها والعصور كلها، يؤمن بأن هذه الدراسة الدينية والعربية تخرج للناس إماماً يهتدون بهديه، ويشفي أمراض المجتمع في علمه وخلقه ونظامه، ويضع له القوانين الصالحة والنظم اللائقة

عاش الشيخ في هذه البيئة يلتمس الوسيلة، وتطلب نفسه مخرجاً منها، وتتطلع إلى رجل يشفي صدره ويزيل قلق نفسه، ويشد أزره، ويمصره بالدين وبالحياة، وينضم رأيه إلى رأيه في أن هذا الذي يراه ليس هو الدين؛ وهذا الذي يعيش فيه الناس ليس هو الحياة؛ وهذا الذي يدرسه من الكتب ليس موصلاً إلى العلم الصحيح بل مبعداً عنه؛ وهذا الذي يتعارفه الناس في طرق الدراسة هو غير طرق الدراسة الصحيحة النافعة

مر بهذا الطور ثم أعطاه الله ما كانت تصبو إليه نفسه، فهبط إلى مصر جمال الدين الأفغاني، وهو رجل ثائر على النظم الموجودة جميعها: نظم الدراسة ونظم الحكومات؛ خبير بأحوال الدنيا وأحوال الأمم، عليم بأدوار التاريخ وما تقلبت عليه الأمم الإسلامية من أطوار، خبير بالتاريخ العلمي الإسلامي وبغيره من التواريخ، عالم بمذاهب الأمم ونحلها، عالم بالاستدلال وطرقه، بصير بالدعوة إلى الله سبحانه وبالدعوة إلى ما يريده من الآراء والمذاهب؛ يفقه أغراض الدين العامة، ويحترم العقل ويعرف له قدره، ويضع الرجال مواضعهم لا يعطيهم أكثر مما يستحقون

رجل يمت بصلة نسبية إلى صاحب الرسالة ويرى أن عليه ديناً لجده لا بد أن يؤديه. ذلك الدين هو وقف مواهبه جميعها على تبيين هذا الدين وإصلاح حال المسلمين. وجد الشيخ في السيد جمال الدين بغيته، ووجد ما يشبع نهمه ويشفي صدره ويزيل صدأ عقله ويشحذه، ويرد ذلك الجوهر صافياً نقياً لامعاً كما فطره الله ثم يملؤه علماً ويقيناً وإيماناً ومعرفة ويمده للإصلاح

أتم الشيخ دراسته، ولأمر ما أراد الله به كما له، هجر مصر لأسباب سياسية وطوّف في بعض بلاد الإسلام وبعض البلاد الغربية فاكتمل نضجه. ثم عاد واشتغل بالقضاء الأهلي وعرف أساليب القضاء الحديثة من منابعها فصار قديراً على الإصلاح في القضاء الشرعي كما هو قدير على الإصلاح العلمي وإصلاح نظم الدراسة

هيأت له الأسباب جميعها تولي إفتاء الديار المصرية وصار له شأن في إصلاح الأزهر بعضوية الإدارة فيه، وكانت مواهبه وجاهه وخبرته بالدولة ورجال الدولة مما جعله المسيطر على الإصلاح في الأزهر وصاحب النفوذ به

عرف الشيخ أن النفوذ والجاه ووضع النظم وما إلى ذلك لا يكوّن الرجال العاملين ولا العلماء المجددين، وأنه لا بد لهذا كله من أن يضاف إليه التعليم الصحيح وأن يتولاه بنفسه، فقرأ في الأزهر كتاباً قيماً من كتب المنطق، وقرأ رسالة في التوحيد، وقرأ كتب الشيخ عبد القاهر في البلاغة وشرع يفسر كتاب الله.

كانت دروس الشيخ كالغيث. أما البلد الطيب فقد خرج نباته بإذن ربه؛ وأما البلد الخبيث فقد خرج نباته نكداً. وكانت دروسه مثلاً عالياً في طريقة الإلقاء والتفهيم وفي العبارات

النصيحة المتحيرة النافذة إلى القلوب . وكانت دائرة معارف يجد اللغوى فيها حاجته والفقيه رغبته والمتكلم بغيته . ويجد علماء الاجتماع فيها تطبيق آى القرآن على معارفهم ، وكانت صرخاته المدوية منبهة الغافل ومحركة الجامد . وكانت عاصفة قوية هزت الأشجار الباسقة القوية فسقطت أوراقها الذابلة ثم أورقت . أما الشجيرات الضعيفة والحشائش الدنيئة فأفلتت منها ولم تنتفع بها

عاملان من أقوى العوامل وقفا فى طريق الشيخ . عامل الحسد ، وعامل البيئة . ومن المحال أن يوجد رجل كالشيخ فى صفاته وعلمه لا يحسد . ولو أنه لم يحسد ولو أنه لم يرم بالكفر والضلال ولو أنه لم يشتد حسده ولم يقاوم أشد المقاومة بسبب الحسد لما كان شيئاً يتحدث عنه ولما كان رجلاً من رجال التاريخ وقديماً قال الإمام الغزالى : « استصغر من علماء الدين كل من بالكفر لا يعرف ، وكل من بالضلال لا يوصف » . والسلاح القاتل الذى يرمى به علماء الدين هو الكفر والزندقة ، والمقتل الوحيد الذى يقصد بالسهام فى علماء الدين هو العقيدة .

وأما البيئة فقد أشرت إليها من قبل ولا أبيح لنفسى أن أضرب الأمثال وأقيم الأدلة على أنها بيئة لم يكن من العدل أن ينتظر منها مناصرة الشيخ وقبول آرائه وطرائقه فى الإصلاح الدينى واللغوى وغير ذلك . ولم يكن من الحق أن يطمع الشيخ فى مناصرتها إياه . وبخاصة أنه هاجمها هجوماً عنيفاً لا هوادة فيه وسفّه آراءها فى أعز شىء لديها وهو العقيدة .

وسبب ثالث له خطره وهو أن جهة ذات نفوذ أظهرت عدم الرضا عن الشيخ وساعدت خصومه . وأن جهة ذات نفوذ آخر ساعدته وشدت أزره فظن القوم أنه رجل يريد إفساد الدين وإفساد العلم وإفساد الأزهر . ومن أشد مظاهر الحسد إذ ذاك أن طلع من كبار العلماء كتب سلسلة مقالات فى جريدة المؤيد يحرم فيها تعليم الحساب والجبر والهندسة والتاريخ فى الأزهر لأن الشيخ كان أول المشيرين بتعليم هذه العلوم فى الأزهر وكاد العناد يكون كفراً .

ذهب الشيخ إلى جوار ربه منذ ست وثلاثين سنة ، وكان فضله مجحوداً ، وكان يرمى بالكفر والزندقة . لكنه كلما ابتعد الناس عنه بالزمان اقتربوا من معرفته ، وزاد المقرون له بالعلم والتقوى والإيمان والغيرة على الدين . والمقرون له بالإصلاح وبالذود عن الإسلام والمسلمين

مات الشيخ وبقيت طريقته فى الإصلاح لم تمت ، وبقيت آراؤه مدونة فى الكتب ومرسومة فى صدور تلاميذه المخلصين يورثونها الأبناء والأحفاد . إن ذلك المصباح لا يزال يسطع نوره ولا يزال نوره يمتد فى آفاق البلاد الإسلامية وغيرها

وسيتجلى الناس جميعهم عندما ينصفه التاريخ ويتقادم العهد أنه علم من أعلام الأمة ومجدد من مجددى الإسلام ؛ وأنه أحد رجال السلف الصالح . تأخر ميلاده عن خير القرون لحكمة أرادها الله ، فولد فى القرن الثالث الهجرى

ترك بذور الإصلاح للتعليم الدينى وتعليم علوم العربية وبذور إصلاح القضاء الشرعى ، وبذور إصلاح المجتمع الإسلامى والأمم الإسلامية . وليس فى رجال تفسير كتاب الله من يضارع الشيخ أو يقاربه فى تطبيق آى القرآن على سنن الاجتماع ، وفى تصوير هدى القرآن ، وفى فهم أغراض الدين العامة

ودعته ليلة سفرى إلى السودان لتولى قضاء مديرية دنقله فى نوفمبر سنة ١٩٠٤ ، فسألنى : هل معك رفقاء السفر ؟ فقلت : نعم ، بعض كتب آنس إليها وأستديم بها انصالى بالعلم ؛ فقال : أو معك كتاب الأحياء ؟ فقلت : نعم ؛ قال : الحمد لله ، هذا كتاب لا يجوز لمسلم أن يسافر سفراً طويلاً دون أن يكون رفيقه ؛ ثم قال لى : أنصحك أن تكون للناس مرشداً أكثر من أن تكون قاضياً ، وإذا استطعت أن تحسم النزاع بين الناس بصلح فلا تعدل عنه إلى الحكم ، فإن الأحكام سلاح يقطع العلاقات بين الأسر ، والصلح دواء تلتئم به النفوس وتداوى به الجراح .

وداعبنى مرة إثر خروجى من امتحان شهادة العالمية هل تعرف تعريف العلم ؟ فقلت له نعم وكنت أحفظ إذ ذاك أكثر تعاريف العلم فسردت بعضها . فقال اسمع منى تعريفاً مفيداً العلم هو ما ينفعك وينفع الناس . ثم سأل : هل انتفع الناس بعلمك ؟ قلت له لا . قال : إذاً أنت لست بعالم . فانفع الناس بعلمك لتكون عالماً

ولم يكن يفوته أن يذكر بالقرآن وأن يعتبر بالقرآن كلما ذكرت الحوادث وكلما جدت العبر ، ولم يكن يفوته أن يشهر بالظالمين ، وأن يثنى على المخلصين العادلين . فقد كان يحب الحق أكثر مما يحب نفسه . عاش للعلم وعاش للدين وعاش للاسلام والمسلمين

رحمة الله ورضوانه عليه وعلى إخوانه الأئمة المهتدين

محمد مصطفى المراغى